في الانتروبولوجيا والتاريخ
مقاربة منهجية

د. محمد حسين دكروب (*)

في التمهيد...

خلال القرن التاسع عشر، تكرست الأنتروبولوجيا كميدان علم مستقل، له تقنياته الخاصة ومجال بحثه المتميز: المجتمعات المسماة «بدائية». لقد شكلت ولادة هذا العلم الجديد عن الإنسان، استطراداً لمنحى تاريخي قديم: الاكتشاف المتدرج أو التدريجي من قبل أوروبا للمجتمعات «الأخرى» أي المتخلفة وغير الصناعية[1].

في الحقيقة، إن الأضواء سلطت منذ القرن التاسع عشر على تنوع الأعراق البشرية وأشكال تنظيماتها الاجتماعية واختلافها، وذلك حين بدأ الرحالة والمكتشفون الأوائل من أوروبا الغربية بالتعرف الأولي على أوروبا الشرقية وآسيا الوسطى؛ وأحد اشهر هؤلاء، كان الرحالة الايطالي ماركو بولو Marco Polo (1254-1324) الذي زار الصين وأقام فيها مدة ست عشرة سنة، أطلق بعدها كتابه الشهير «عجائب الدنيا» الذي لا يزال يلاقي نجاحاً كبيراً حتى اليوم.

هذا الاهتمام بالمجتمعات «الخارجانية والغريبة»، ازداد منذ عصر النهضة في أوروبا، خاصة خلال مرحلة التوسع الاستعماري، الاقتصادي السياسي الملازم لنمو الرأسمالية الهادفة للتفتيش عن مصادر جيدة للمواد الأولية الضرورية للتطور الصناعي، وعن أسواق استهلاكية جديدة لتصريف بضائعها[2]؛ لذا ومع الحملات العسكرية والتجارية كثرت المؤلفات والروايات التي تصف مجتمعات القارات الأخرى وأنواع البشر الذين يعيشون فيها؛ ومع بداية القرن الثامن عشر تتابعت وترابطت جهود البحث في هذا الإطار وتم اكتشاف المجتمعات «المحيطية» التي ألحقت بالتالي بخارطة العالم، إضافة لمواصلة التوغل في اكتشاف شمال شرق آسيا،

(*) أستاذ مادة الانتروبولوجيا في الجامعة اللبنانية ـ معهد العلوم الاجتماعية ـ الفرع الأول.

مع التعمق في مجالات مجهولة من القارة الأفريقية.

إن مجمل الاكتشافات والمعطيات التي جمعت عن المجتمعات غير الأوروبية، كانت في البداية دافعاً لتجديد الفكر الفلسفي عن الإنسان وطبيعة وجوده، وهكذا فإن موضوعة الإنسان «المتوحش الطيب» الذي يمثل نقيضاً للإنسان «المتمدن الحديث» قد شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام فلاسفة كبار أمثال ديدارو Diderot، برناردين Bernardin، سانت بيار Saint-Pierre، روسو Rousseau، مع ما أفضت إليه من ظهور أفكار فلسفية كثيرة حول وجود تطور إنساني آحادي الوجهة، يبدأ من حالةٍ بدائية أصيلةٍ وينتهي في الأشكال المعقدة التي يجسدها المجتمع الصناعي.

نستطيع القول إذاً، إن كلمة الأنتروبولوجيا قد استعملت منذ نهاية القرن الثامن عشر، بهدف الرد على مجمل الأسئلة المتعلقة بالأصول، التشابهات والاختلافات القائمة بين مختلف المجتمعات البشرية المعروفة حتى ذلك الحين؛ وهي بهذا التحديد كانت تعنى ولا تزال بالإنسان في مختلف أشكال ارتقائه وتطوره وانتظامه على مختلف الأصعدة، من الفيزيولوجي السلالي إلى الايديولوجي مروراً بالاقتصادي والسياسي والقرابي، بلوغاً للرمزي والأسطوري، المعتقدي والديني[3]، إنها والتعريف من الانتولوجي البريطاني الكبير راديكليف براون Radicliffe Brown: «دراسة طبيعة المجتمع الإنساني دراسة منهجية منظمة، تعتمد على مقارنة الأشكال المختلفة للمجتمعات الإنسانية، بالتركيز على الأشكال الأولية للمجتمع البدائي»[4].

مع تطور هذا الميدان العلمي الجديد؛ اختلفت التسميات التي أطلقت عليه، وذلك باختلاف المعاني والدلالات التي أعطيت له من قبل الباحثين الغربيين على تنوع جنسياتهم وثقافاتهم ولغاتهم هكذا أصبح هناك لُبس بين مصطلحات من مثل الاتنوغرافيا Ethnographie والاتنولوجيا Ethnologieوالانتروبولوجيا Anthropologie؛ هنا لا بد من التوضيح أن الفارق في الاستعمال بين مصطلحي الاتنولوجيا والانتروبولوجيا هو فارقٌ في الاستخدام اللغوي الهادف لإعطاء مضمون هذا العلم الدقة اللازمة والإطار الواضح، ففي حين استخدم الإنكليز مصطلح الانتروبولوجيا بمعنى علم الإنسان بشموليته وسعة آفاقه، نرى أن الاميركيين والفرنسيين قد استخدموا مصطلح الاتنولوجيا بمعنى علم الشعوب بما تحتويه من تمايزاتٍ عرقية وثقافية وحضارية؛ ولكن وبغض النظر عن هذه المسألة؛ فإن التفارق العلمي هو أساساً في كيفية استخدام كلٍ من مصطلحي الاتنوغرافيا والاتنولوجيا أو الانتروبولوجيا وعدم جواز الخلط بينهما:

الأتنوغرافيا: تقوم على مراقبة بعض الجماعات البشرية من خلال المشاهدة الحقلية المباشرة، وهي بهذا تلجأ إلى وصف دقيقٍ وتجميع لكل المعطيات التفصيلية والجزئية المتعلقة بحياة مجموعة ثقافيةٍ محددةٍ في الزمان والمكان استناداً إلى منهج الدراسة الحقلية المُفردة monographie بهدف تسجيل كل مظاهرها على مختلف الأصعدة (البيئة، التقنيات، الاقتصاد، السياسة، الدين، القرابة)!

الأتنولوجيا أو الانتروبولوجيا: فهي تقوم بالمعنى الحصري المعاصر لها على الدراسات التوليفية والتحليلية مع ما يترتب عليها من نتائج نظرية، وذلك استناداً إلى التوثيق الاتنوغرافي السابق الذكر، والذي يهدف بشكل

مخصوص نحو مسائل الانتشار، الاتصال، التواصل والأصل بالمعنى الثقافي العام، إضافة إلى التراكيب الاجتماعية القائمة على بنى ومفاصل متنوعة الوظائف والحركيات.

نستطيع القول على الإجمال، إن المنهج في الانتروبولوجيا يستند إلى الدراسة العينية المباشرة، لحقل المجتمعات أو القبائل موضوع الاهتمام؛ وذلك من خلال حضور الباحث ومعايشته.

والمبدأ الرئيسي لهذا التوجه العلمي هو ما يسمى المُشاهَدة المُشارِكة (Observation Participante) التي تتطلب شروطاً تقنية وتجريبية وشخصية تكوينية لدى الباحث، تسمح له بالانخراط اليومي في زمن النسيج الاجتماعي بما يحتويه من علاقاتٍ وقيمٍ ومعتقدات؛ مع القدرة على فهم وإستيعاب أشكالها ومضامينها وبالتالي الربط والتوليف اللاحقين بينها توخياً لنتائج نظرية عامة يتشكل منها مجمل الإرث العلمي والمنهجي الذي عرفه الميدان حتى اليوم.

للأنتروبولوجيا إذن طموحٌ كلي، شمولي في النظر إلى الإنسان وذلك بقدر ما تتيحه خاصية التنوع الحضاري والاختلاف الثقافي من رؤية وتبصر، كيف السبيل إلى هذا الهدف وما هي خاصية السياق التاريخي الذي جعل في هذا الميدان علماً يختص بدراسة ما يسمى بالشعوب «البدائية»، «اللاتاريخية» كما يُقال، حيث التدوين المكتوب يختفي أمام الحضور الدائم لفعل التواصل بين الماضي والحاضر والمستقبل؟! (الذاكرة)[5].

هنا نتساءل مع الاتنولوجي البريطاني الكبير إيفانز بريتشارد Evans Pritchard، ماذا يقصد بالشعوب «البدائية»؟ ولماذا تدرس هذه الشعوب؟ إن كلمة «بدائي» بالمعنى الذي تستخدم به في الكتابات الانتروبولوجية لا تعني أبداً أن المجتمعات التي توصف بها أسبق في الزمن أو أدنى منزلة من أنواع المجتمعات الأخرى. فمن المعروف أن لتلك المجتمعات تاريخاً طويلاً قد يماثل في طوله تاريخ المجتمعات الأوروبية نفسها، وأنه إذا كانت هذه المجتمعات لم تتطور في بعض النواحي بالنسبة نفسها التي تطور بها المجتمع الأوروبي فإنها تفوقه تطوراً في الواقع في نواحٍ أخرى[6].

لقد تحفظنا كما هو ملاحظ حول استعمال مصطلح «البدائية» وصفاً للشعوب التي تتناولها الانتروبولوجيا بالدراسة، لقد وضعناه بين مزدوجين حذراً وتنبهاً لعدم جواز قياس درجة تطور بعض الشعوب ومشروعيته نسبةً لما هو حاصل عند شعوبٍ أخرى؛ فمجرد تسمية هذه الشعوب «بدائية»، نكون قد لجأنا إلى حكم تقييمي مسبق بصدد هذا «الآخر» المختلف نسبةً لما «نحن» عليه من حال، مما يدفع للتساؤل: نسبةً إلى أي مقياس هذا «البدائي» هو «بدائي»؟ واستناداً إلى أي منظور علمي أو تاريخي أو أخلاقي يستطيع العلم ـ أي علم إنساني ـ اللجوء إلى قياس «الآخر» انطلاقاً من الذات (هنا الذات الحضارية الأوروبية)؟! ذلك أن كل جماعة بشرية تتطور نسبةً لما يمليه عليها نسقها الحضاري الخاص من محددات ومن حركية تاريخية ـ مرئية كانت أو كامنة، متسارعة أو بطيئة ـ وهذه الظروف هي قطعاً مختلفة ومتنوعة بمقدار اختلاف وتنوع أنماط انتظام الاجتماع البشري والحضاري[7].

هنا أرى من المفيد التنبيه إلى ضرورة التمييز بين المعنى اللغوي لمصطلح «بدائي» وبين المعاني والمضامين التي أعطيت له بما وُسِمت به المجتمعات المندرجة في إطاره، من مواصفات ومعايير تقويمية، إذا كان هناك اصطلاح

يرتبط بالانتروبولوجيا دائماً فهو اصطلاح «البدائية» الذي يستعمل لوصف معلومات وجدها الانتروبولوجيون في مختلف بقاع العالم. فهناك علم بدائي، ودين بدائي واقتصاد بدائي، وعقلية بدائية، وشعوب بدائية، ومجتمعات وثقافات بدائية[8]، أما المعنى اللغوي المعجمي لكلمة Primitive المشتقة من Primitifالفرنسية، المشتقة من كلمة Primitivus اللاتينية، المشتقة من Primusومعناها، [الأول]:

ما يتعلق بالبداية أو الأصل، الأقدم في الزمن، الأول، الأصلي، مثل العصور **الأولى** للدين، أجدادنا **الأوائل**[9]؛ بمعنى أن الأشكال الثقافية عند المجتمعات البدائية هي أشبه، من حيث خصائصها العامة، بالخصائص التي نظن أنها سادت في الثقافات **الأولى** لطفولة البشرية[10].

من الواضح إذن، أن ما يحتمله هذا المصطلح من مضمون ومحتوى، يتجه نحو تقويم المجتمعات المكتشفة «حديثاً» من قبل أوروبا، قياساً إلى معايير الارتقاء والتطور التي عرفها التاريخ الحضاري لهذه الأخيرة من محطات ومراحل تتسم بسيادة مواصفات محددة على الصعد الاجتماعية والثقافية والتقنية؛ ويكفي في هذا الصدد القول، إن الانتروبولوجيين حين يستخدمون هذا المصطلح فإنهم يقصدون بها الإشارة إلى المجتمعات الصغيرة سواء من ناحية السكان أو المساحة أو تشعب العلاقات الاجتماعية؛ والتي تمتاز ببساطة الفنون الآلية والاقتصاد وقلة التخصص في الوظيفة الاجتماعية اذا ما قورنت بالمجتمعات المتقدمة؛ ويحب بعض الانتروبولوجيين أن يضيفوا الى ذلك مقاييس ومعايير أخرى **أهمها عدم وجود تراث مكتوب** وبالتالي عدم وجود أي فن أو علم أو لاهوت منهجي منظم[11]، وأن أكثر تعبير وصفي للدلالة على نظرة الأوروبيين لهذه المجتمعات في اعتبارها:

sans loi	sans roi	sans foi
بدون قانون	بدون ملك	بدون إيمان

وذلك بالاستناد طبعاً، إلى مقارنة الأشكال والنظم، المؤسسات، القيم والمعتقدات «البدائية» هذه، بتلك السائدة في المجتمعات «المتقدمة» و«المتطورة».

لقد كان من الضروري، حتى الآن، القيام بهذه التوطئة التمهيدية في التعريف الأولي والسريع لما هو علم «الانتروبولوجيا»، وذلك تسهيلاً على القارىء غير المتخصص الولوج إلى صلب الموضوع الذي نعالجه في هذه المقالة المنهجية والمتعلق أساساً بطبيعة العلاقة التي تربط ما بين علم التاريخ وعلم الانتروبولوجيا، أين هي المشكلية في هذه العلاقة؟ ما هو موقع علم التاريخ من دراسة المجتمعات «البدائية» وهي التي لا تعرف أصلاً فن كتابة هذا التاريخ، وهل أن غياب الكتابة أو الجهل بها يؤديان إلى غياب التاريخ ونفيه عن هذه المجتمعات التي تصبح كما ذهب بعض الاتجاهات في الانتروبولوجيا، مجتمعات لا تاريخية؟! ما هو السبيل إذاً لتحديد تاريخ هذه المجتمعات ومعرفته طالما لا وجود أصلاً لوثائق مكتوبة ولتدوين لمراحل التطور التاريخية التي عرفتها؟! باختصار نقول ماذا يستطيع علم الانتروبولوجيا والحال كذلك أن يقدم إلى علم التاريخ؟!

في المعالجة . . .

من البديهي القول بأن كل الحضارات والمجتمعات التي عرفتها البشرية حتى الآن، هي حضارات ومجتمعات تاريخية؛ إذ إن القول بانعدام التاريخ عند إحدى هذه المجتمعات، يعني بالضرورة القول بانعدام وجودها نفسه، بالتالي فإن المجتمعات «البدائية» هي بالضرورة الحتمية عينها، مجتمعات تاريخية ولو أنها لا تعرف فن كتابة تاريخها الخاص، ولا يصح علمياً نعتها بصفة «اللاتاريخية» انطلاقاً من أننا لا نمتلك وثائق مكتوبة تدويناً لهذا التاريخ . إن هذا الموضوع فتح الباب أمام أكثر الإشكاليات المُعاصرة بعلاقة التاريخ والأنتروبولوجيا، والتي عبر عنها الأتنولوجي الفرنسي الكبير كلود ليفي ستراوس بقوله؛ إن دراما المنهج الأتنولوجي هي : «في إعادة بناء ماضي يتعذر الوصول إلى تاريخه أو كتابة تاريخ حاضر لا ماض له»[12].

إذاً، كيف يمكن لعالم التاريخ أن يتناول المجتمعات «البدائية» موضوعاً لبحثه، طالما أن إعادة بناء ماضيها، تركيبة وتحليل أنساق ارتقاؤه وتطوره هو مسألة متعذرة أصلاً لعدم توافر النص الحضاري المكتوب المعبر عنه، أي عدم توافر التاريخ المكتوب، المدون والموثق، مرجعاً للدراسة والتحقيب، هذا من جهة، أما من جهةٍ أخرى، فكيف يمكن لعالم الانتروبولوجيا الانطلاق في مقاربة تلك الحقيقة الحضارية المعاصرة والمسماة بـ «البدائية» بهدف كتابة تاريخها الحاضر فقط، وذلك بالانقطاع عن شرط التواصل والاسترسال الضروريين مع بُعدها الزمني الماضي، مما يؤدي بكل بساطة إلى إلغاء تاريخ هذه المجتمعات، أي استطراداً إلى إلغاء وجودها بالذات!؟، ذلك أننا حينما نقتصر على اللحظة الحاضرة من حياة مجتمع ما، نكون أولاً ضحية وهم: لأن كل شيء تاريخ؛ فما قيل بالأمس تاريخ وما قيل قبل دقيقة تاريخ؛ ولكننا بهذا نحكم على أنفسنا وعلى وجه الخصوص بعدم معرفة هذا الحاضر، لأن التطور التاريخي وحده هو الذي يتيح بروز عناصر الحاضر وتقديرها في علاقاتها المتبادلة[13].

ماذا يعني ما تقدم؟ هل يعني أن الأنتروبولوجيا ذات علاقة سلبية ببُعد التاريخية عند الشعوب، أي أنها اختصت لنفسها عبء معاينة ما هو لا تاريخي من الوجود الحضاري للشعوب؟ وما هو ثابت من بنية اجتماعها ثبات الدورة التكرارية لزمنها؟[14] هنا نرى من المفيد أن نطرح أمام القارىء غير المتخصص بعضاً من الخطوط الرئيسية العامة في كيفية التعاطي المنهجي مع هذه المسألة، وذلك من قبل الاتجاهات النظرية الكلاسيكية الأساسية التي عرفها الميدان العلمي الانتروبولوجي حتى الآن، ونحن إذ نلجأ لهذه الطريقة في معالجة الموضوع فإنما نهدف إلى تسهيل الطريق أمام الاستنتاجات الأولية للحلول التي طُرحت بصدده.

التطور والتاريخ :

الخيار التطوري، وهو يقوم على اعتبار «الآخر» هو شكل أدنى ومتأخر من أشكال تطور «الذات الحضارية» الغربية، وحيث إن التطور التاريخي لا بد له أن يتبع وبشكل حتمي وضروري اتجاهاً محدداً (اتجاه التطور الأوروبي) فإن قدر المجتمعات «البدائية» الراهنة، بما هي تعيش حالة متأخرة داخل إحدى مراحل التطور التاريخي الكبرى (الوحشية، البربرية، المدنية) هو الوصول آجلاً أم عاجلاً إلى مرتبة تطور المجتمعات الأوروبية المُعاصرة، ولقد علق هذا الاتجاه

التطوري في الأنتروبولوجيا أهمية فائقة في أبحاثه على المجتمعات «البدائية» لإثبات أن الأشكال الاجتماعية السائدة فيها، ليست سوى تعبير عن حالات من الجمود التاريخي سبق للتاريخ الاجتماعي الأوروبي أن مر بها وتجاوزها إلى أشكال أخرى أكثر رقياً. إذاً فالتأكيد على الشمولية التاريخية للإنسان الأوروبي، تجعل من الإنسان «البدائي» في حالة تماثل مع «الطفولة الإنسانية الأوروبية»؛ . . . وهنا يأخذ العلم الانتروبولوجي دوره في «تهيئة» هذه المجتمعات المتأخرة لاستقبال مراحل التطور اللاحقة؟!

إن الاستنتاجات النظرية العامة ووجهة التحليل التي أرساها هذا الخيار التطوري؛ قد شكل الأساس العلمي لنمو التيار الماركسي الانتروبولوجي لاحقاً؛ أي منذ منتصف هذا القرن تقريباً وفي فرنسا على وجه الخصوص؛ إن الانتروبولوجيين الماركسيين من أمثال كلود مايسوه، موريس غودولييه، إمانويل تراي وبيار فيليب راي، قاموا بإنتاج مجمل أعمالهم مستندين إلى المحصلة العامة لما يسمى اليوم بالانتروبولوجيا الاقتصادية؛ إن المفصل المنهجي والنظري لكل هذا الجهد الماركسي، يجد قاعدته العلمية الأساسية فيما بلوره، احد مؤسسي النظرية الماركسية عن المجتمع والتاريخ، فريدريك إنجلز، في كتابه المشهور «أصل العائلة، الملكية الخاصة والدولة» وذلك انطلاقاً مما كان قد توصل إليه كُلٌّ من مورغان وتايلور، اللذين أقرّا بوجود شمولية لقوانين التطور البشري التاريخية وأقاما على أساسها ترسيمة متدرجة لسلم الارتقاء الحضاري البشري، وضعوا فيه كل المجتمعات الخارجة عما استقر عليه النسق الحضاري الأوروبي، على درجات أدنى[17] مستندين إلى هذه «الشمولية التاريخية» لقوانين التطور البشري التي أنتجتها الماركسية (المادية التاريخية) في سياق تحليلها للتشكيلة الاجتماعية الرأسمالية في أوروبا القرن التاسع عشر، فإن الهاجس المركزي للانتروبولوجيين الماركسيين يكمن في كيفية الوصول إلى صيغة تطبيقية لهذه القوانين خارج المجال التاريخي الأوروبي، أي في التشكيلات الاجتماعية السابقة على الإنتاج الرأسمالي، إنه تحديداً هم الوصل بين «شمولية التاريخ الأوروبي» «خصوصية تماثله» في المجتمعات الأخرى المتخلفة[18]. هكذا؛ فإن المشكلية التي طرحها هذا التيار الماركسي في تعامله مع المجتمعات «البدائية»، تكمن أساساً في كيفية استعمال مفاهيم مثل (أسبقية القوى المنتجة، الملكية، تحديد نمط الإنتاج، أواليات الصراع الطبقي وأشكال التعبيرعنه، تمفصل القوى المنتجة على علاقات الإنتاج). إذن، هناك ضرورة تاريخية للتجسد الاجتماعي الفعلي لمفهومي التناقض والصراع في كل التشكيلات الاجتماعية التي عرفتها البشرية حتى الآن؛ ولكن ما العمل إذا كان «قدر» آلاف المجتمعات «البدائية» أن تستعصي أبداً على هذين المفهومين، على الرغم من محاولات الغرب الكثيفة لتصدير «جرثومة» الانقسام الاجتماعي الأفقي، المعنى الاقتصادي للكلمة تحديداً، إلى الجسد البدائي مستحلاً لهذه الغاية كل ما أنتجته عبقريته العلمية والتقنية من وسائل: أسلحة فتاكة، عسكر، إرساليات دينية، إدارات وأجهزة، إبادة جسدية وحضارية الخ . . .[19].

للحقيقة يُقال، أهذا المنطق الاقتصادي لم يكن بمقدوره إغواء الانتروبولوجيين، بقدر ما كان عاجزاً عن إعطاء صورة واضحة عن الوظائف الاجتماعية المعقدة السائدة في المجتمعات «البدائية»، بما تحتويه من عناصر متنافرة، سياسية، قرابية، أسطورية. . . وفي الوقت الذي كانت الماركسية فيه تتجه نحو دراسة اختلالات التوازن، الارتجاجات والهزات؛ عمليات الانقطاع والانتقال بالمعنى الاجتماعي ـ التاريخي، داخل النسيج الحضاري «البدائي»؛ فإن الانتروبولوجيا كانت تتجه من ناحيتها نحو رؤية عناصر الديمومة والثبات فيه، وليس في الأمر أي غرابة طالما أن الماركسية

كما هو معلوم أصلاً، قد ولدت في إطار تفكير نظري وممارسة سياسية حول المجتمعات أو التشكيلات الاجتماعية الرأسمالية[20].

الوظيفة والتاريخ[21]

لقد شابت نظرة التطوريين إلى المجتمعات البدائية تحديداً، وإلى مجمل المجتمعات البشرية على العموم، منحى تأملياً، ظنياً قائماً على التخمين استناداً إلى معلوماتٍ غير دقيقة، وتقارير الرحالة المبشرين والإداريين والتجار، مما أثار حول مفاهيمهم واستنتاجاتهم عدداً كبيراً من الأسئلة العلمية، المنهجية منها والنظرية، إذ كيف نفسر التطور غير المتوازي بين الشعوب والثقافات المختلفة، بالاستناد إلى الافتراض التطوري القائل بوحدة التكوين الفيزيولوجي والسيكولوجي والسوسيولوجي للإنسان؟ وإذا ما كان قدر المجتمعات البشرية الحتمي أن تمر [بالضرورة التاريخية] في المراحل الارتقائية نفسها كما لحظها [التاريخ] التطوري لأوروبا، كيف نفسر بالتالي التفاوت في وتيرة التطور الزمني بين مجتمعٍ وآخر؟ لماذا اندثرت بعض الحضارات وتخلفت أخرى، وتقدم البعض الآخر وازدهر، والأهم من كل ما تقدم ذكره، هو السؤال عن مدى الفعالية العلمية التي تبقى لعلم التاريخ في دراسته لاعتبارات التطور المخصوصة بكل نسقٍ حضاري محددٍ ومنها تلك المتعلقة بالمجتمعات «البدائية» طالما أنه محكومٌ سلفاً بنموذج ارتقاء وحيد «وشمولي» يشكل قاعدة الارتكاز والقياس؟!

أمام كل تلك المآزق النظرية والمنهجية التي واجهت الخيار التطوري في الانتروبولوجيا، بدأت بالتكون منذ بدايات القرن العشرين، اتجاهات نقدية تدعو إلى القطع مع المعايير التطورية القائمة على الظن والتخمين، وإلى انتقال الباحث مباشرة إلى حقل المجتمعات «البدائية» لمعايشتها ودراستها عن كثب؛ لم يعد مقبولاً أن ينفرد الانتروبولوجي في مكتبه بإحدى العواصم الأوروبية، يعمل على التقارير المرسلة، بل أصبح لزاماً عليه النزول إلى ميدان المجتمعات موضوع الدراسة بنفسه. إن هذا المنحى الجديد هو ما يسمى بالخيار الوظائفي في الانتروبولوجيا، والذي اتسمت به المساهمة البريطانية في هذا المضمار؛ من أبرز المؤسسين العالم برينسلاوي مالينوفسكي الذي انتقل إلى جزر غينيا الجديدة في الباسفيك الغربي وأقام هناك لمدة أربع سنوات (1916-1920) معايشاً القبائل «البدائية» الموجودة هناك كواحدٍ من أفرادها، تعلم اللغة الأهلية السائدة ومارس كل شعائرهم وطقوسهم، مؤسساً بذلك لمنهجٍ جديد في دراسة الحضارات البشرية المختلفة.

لقد كانت مواجهة الثقافات الأخرى بالنسبة لمالينوفسكي مواجهة في الوقت نفسه مع ثقافته الخاصة، لقد أعلن بأن الانتروبولوجيا ليست لغة غامضة متميزة عن الاستعمار الغربي، إنها الشكل الخاص الذي يجسد الثقافة الغربية لحظة اصطدامها التاريخية مع ما يسمى بالثقافات «البدائية»، إن المقاربة الوظائفية للمجتمعات «الأخرى» تؤكد على الاستقلالية التي تتمتع بها الثقافات البشرية المختلفة، بحيث تشكل كل ثقافة منها نظاماً كلياً من العناصر المتماسكة التي يصعب دراستها بشكلٍ منفصلٍ وعلى حدة خارج سياق انتظامها الوظائفي الكلي. إذاً، في كل نماذج الحضارات البشرية لا بد من التذكير بالدور الذي يمكن أن يلعبه طقس ما، سمة ثقافية أو تقنية، عادة أو أي معتقد آخر داخل الوظيفة العامة الكلية للمجتمع، فلكل هذه العناصر وظيفة حيوية، مهمة معينة تمثل بالإجمال جزءاً ضرورياً من الجهاز الكلي[22].

إن السؤال الرئيسي الذي تدور حوله هذه المعالجة أصبح معلوماً، علاقة الانتروبولوجيا والتاريخ؛ فما هي وجهة تعامل الوظائفية مع هذه المسألة العلمية الحاسمة؟! لماذا أغفلت الانتروبولوجيا الالتفات الى تاريخ الثقافات «البدائية» وتتبع ماضيها البعيد؟ على الرغم من أن التاريخ إنما يلقي على الحاضر ضوءاً أوفى، ويتيح لنا فهماً أكثر دقة ووضوحاً للحاضر الثقافي الراهن. في الواقع لقد أغفل علماء الانتروبولوجيا كما أصبح معلومٌ لدينا، دراسة تاريخ المجتمعات «البدائية» لسببٍ بسيط وهو أنها مجتمعاتٌ معزولة بلا تاريخ مكتوب، ولعدم توفر الوثائق اليقينية المؤكدة، على ما يذكر احد أهم مؤسسي التيار الوظائفي، العالم البريطاني رادكليف براون[23]. إن هذا الإقرار بصعوبة أن تكون المجتمعات البدائية موضوعاً لعلم التاريخ على قاعدة انتفاء وجود «شكله الكتابي» عندها، يؤدي بالمدرسة الوظائفية إلى مجرد «التجاوز» البسيط والمجرد لهذه المسألة والانطلاق بالتالي إلى دراسة هذه الثقافات «البدائية» تأسيساً على ما هي عليه في زمنها المعاصر، الراهن، أي في فعل الحاضر منها دون التفاتٍ أو اعتبارٍ لما هو ماضٍ منه.

يلخص براون هذه القاعدة المنهجية ـ العلمية للخيار الوظائفي على الشكل التالي: وحدها الحقيقة البدائية المعاصرة ملائمة لنظرية تمتلك وحدة الحقل التحليلي المتميز عن التاريخ»[24].

كما هو واضح من خلال هذا النص، فإن براون يعين للانتروبولوجيا ميداناً خاصاً بها، يميزها عن العلوم الانسانية الأخرى، من حيث إن موضوعها يتناول حصراً ما يسمى بالمجتمعات «البدائية»، هذا ما تعنيه بالتالي وحدانية المجتمعات التي تتناولها بالدراسة بشكلٍ مخصوصٍ ومحدد. إن هذا المفهوم يتضمن تأكيداً من قبل براون على أن المجتمعات «البدائية» أنساقٌ اجتماعية قائمة بذاتها غير قابلةٍ للمقارنة مع مجتمعاتٍ أخرى، إنها حقيقة مستقلة ويجب بالتالي دراستها، انطلاقاً من كونها بكل بساطة، مجتمعات «بدائية».

إن تشكيل موقف نظري في هذه المجتمعات يعود بالدرجة الأولى، إلى قاعدة معايشتها مباشرة، كمرتكز رئيسي لتكون المادة المعرفية والتجريبية عنها؛ بهذا المعنى فإن لوحدة الحقل التحليلي بُعداً شرطياً ضرورياً لإمكانية الانطلاق في دراسة الحقائق الاجتماعية والثقافية «البدائية» تأسيساً على تخصيصها وتناولها بشكلٍ جزئي ومتناثر بدايةً، وصولاً لإقامة المقارنة الكلية فيما بينها؛ إذاً لا بد من اختيار حقل دراسة محدد في الزمان والمكان، وصفه بدايةً، تصنيف معطياته تالياً ومن ثم الربط بين مختلف هذه المعطيات وإقامة التحليل المعمق عنها.

نستطيع الاستنتاج بناءً على ما تقدم، أن المجتمعات «البدائية» بحسب هذا المنظور الوظائفي، ليست موضوعاً لعلم التاريخ، ذلك أن لها بُعداً زمنياً محدداً في إطار الراهن أي الحاضر، أي أن أهميتها أصلاً تعود، إلى ما هي عليه في الزمن المعاصر «المتميز عن التاريخ». لكن السؤال هنا يبقى هو نفسه، هل يمكن تناول أي مجتمع بشري ودراسته بمعزل عن تاريخه؟ وماذا يعني مفهوم «التميز» عن التاريخ هذا، سوى أن يكون تبريراً «علمياً» ذرائعياً يهدف إلى تحويل المجتمعات «البدائية» إلى مجتمعات تعيش على الدوام، في زمن دهري، سكوني، دائري وتكراري، ويؤدي بشكلٍ منطقي إلى نفي كل إمكانية لتفكير مقارن حول المجتمعات والحضارات المختلفة وحول «المصير التاريخي» لكل منها، إنه يؤدي باختصار إلى إزالة التاريخ.

برأينا، إن نفي تاريخية المجتمعات الخارجة عن نموذج الحضارة الغربية، والتركيز على الوظيفة الكلية «لمزاجها

الداخلي» يترك المجال أمام التاريخ الأوروبي لمصادرة هذه المجتمعات واستيعابها استعمارياً داخل حركته وتحت سيطرته، وليس مستغرباً والحال كذلك أن يشكل الاتجاه الوظائفي قاعدة المنحى الانتروبولوجي السائد في بريطانيا خلال النصف الأول من هذا القرن.

ـ البنية والتاريخ:

إن ما يهم الاتنولوجي ليس **كلية الوظيفة**، التي ليست أكيدة، والتي لا يمكن إثباتها بدون دراسة متأنية لجميع عادات هذا النظام **وتطورها التاريخي**، على الرغم من أن العادات شديدة التغير. وعليه، فإن من الصحيح أن العلم الذي يكمن هدفه الأول، إن لم يكن الوحيد في **تحليل الفروق وتفسيرها**، يوفر على نفسه جميع المسائل عندما لا يأخذ بعد ذلك بعين الاعتبار سوى التشابهات[25].

بهذا الرأي، يحدد كلود ليفي ستراوس مؤسس المدرسة البنيوية في الانتروبولوجيا، موقفه من الاستنتاجات النظرية والمنهجية العامة التي أرساها التيار البريطاني الوظائفي في مقاربته للانساق الاجتماعية والثقافية «البدائية»؛ إذ ما هي القيمة العلمية الحقيقية لمعرفة الوظائف الجزئية التي يضطلع بها كل عنصر من مستويات البناء الاجتماعي العام، بالتالي الوظيفة الكلية العامة له، إذا كانت غير مستندة إلى قاعدة المعرفة العلمية الدقيقة للتطور التاريخي الذي أفضى بها إلى ما هي عليه اليوم؟! إن مقاربةً «علمية» لعددٍ معين من المجتمعات والثقافات البشرية، لا ترتكز على منهج تحليل الفروق القائمة فيما بينها بهدف تفسيرها، مع ما تفترضه من ضرورة الانطلاق من معطياتها التاريخية الناجزة منها والمتحركة، سوف لن تفضي في أحسن الأحوال، سوى إلى إقامة نظام ميكانيكي مقارن من التشابهات الظاهرية، الراهنة والمعاصرة فيما بينها، إنه التخلي البسيط والمباشر عن «فهم التاريخ» لكي نجعل من «دراسة الثقافات تحليلاً متزامناً لعلاقات عناصرها المؤلفة في الحاضر. والمسألة كلها تكمن في معرفة ما إذا كان تحليل ثقافة وحيدة تحليلاً في غاية الدقة، يشتمل على وصف مؤسساتها وعلاقات هذه المؤسسات الوظيفية وعلى دراسة التطورات الدينامية التي يؤثر فيها الفرد في الثقافة، والثقافة في الأفراد، يمكن أن يأخذ معناه كله بدون معرفة التطور التاريخي الذي أفضى إلى الأشكال الحالية[26]».

إذا كان علم التاريخ يستحيل إمكانيةً حين عزله عن مقولة «التطور»، وذلك بغض النظر عن توفر تدوين له وكتابة أم عدم توفرهما، فإن الانتروبولوجيا بالمقابل، ونتيجةً لما اختصت به من معاينة «للمجتمعات البدائية» في بُعدها الزمني المُعاصر والراهن، أي الحاضر المتميز عن التاريخ، قد استحالت علماً في «البنى التزامنية» لهذه المجتمعات؛ أي علماً في التسلسل الزمني، السكوني، التكراري للعلاقات والأسباب والمظاهر الاجتماعية السائدة، وبذلك يكتسب الزمن بالمفهوم الاتنولوجي صفة «الدهر» بمقابل التاريخ «يؤول النقاش، إذاً، إلى العلاقات بين التاريخ والاتنولوجيا بمعناها الضيق. ونحن سنثبت أن الفرق الأساسي بينهما ليس فرقاً في الموضوع ولا في الهدف ولا في المنهج؛ ولكنهما، باعتبار أن موضوعهما واحد، هو الحياة الاجتماعية، وهدفهما واحد، هو فهم الإنسان فهماً ممتازاً، ومنهجهما يتغير فيه تقدير طرق البحث فقط، يتميزان على نحو خاص باختيار الآفاق المتممة: «**يرتب التاريخ معطياته بالنسبة لعبارات الحياة الاجتماعية الداعية، والاتنولوجيا بالنسبة**

لشروط هذه الحياة غير الواعية»[27].

هكذا، يتوصل بنا كلود ليفي ستراوس فيما سبق ذكره أعلاه، إلى الخروج من دائرة المعالجة المغلقة، التي سادت إشكالية العلاقة بين علم التاريخ والانتروبولوجيا على قاعدة المعيار الفصلي/الانقطاعي بين مجتمعات «كتابية» أي تاريخية، وأخرى «لا كتابية» بالتالي لا تاريخية؛ التاريخ هو نفسه معيار الشمولية بين كل المجتمعات التي عرفتها البشرية؛ والفرق الحقيقي بين مجتمع يعرف فن كتابة تاريخه وآخر لا يعرف هذا الأسلوب التعبيري المخصوص، هو كالفرق بين إنسان يعرف كتابة تاريخه الشخصي أي مذكراته، وآخر أُمّي يعتمد على الذاكرة في رواية هذا التاريخ؛ في الحالة الأولى كما نلاحظ، يتدخل الفكر البشري في بنية وجوده الواعية كتابةً لتاريخية اعتباراته الفردية والاجتماعية، مما قد يطرح تساؤلات عن مدى **موضوعية القصد والنية** من وراء هذه الكتابة، بينما في الحالة الثانية، فإن هناك شروطاً **موضوعيةً لا شعورية** تحيط بتجارب الحياة الفردية والاجتماعية، وتختزنها البنية الوجودية اللاواعية من ذاكرة الفرد والجماعة[28].

إننا نلاحظ منطقياً، أن الفصل بين علم التاريخ والانتروبولوجيا هو بالحقيقة «فصلٌ تعسفي» وغير علمي؛ إن علم التاريخ لا يستطيع أن يحصر غير اهتمامه بتعبيرات الحياة الاجتماعية الواعية، استناداً إلى مختلف أشكال «تسجيلها» من وثائق ومدونات وكتب؛ إذ إنه كما هو معلوم، فإن الكثير من هذه الأخيرة، قد يكون عرضةً للتشكيك وعدم الثقة، لانحراف الغاية والقصد عند المؤرخ ربما، لذلك فهو معنيٌ بالشروط الاجتماعية الموضوعية التي تحيط «بالحدث» التاريخي وتتحكم بمسار تطوره وتغيره، وهي التي توجد بالاستقلال عن «وعي» الأفراد والجماعات وإدراكهم بها. مهمةُ الانتروبولوجيا إذن، الكشف والوصول إلى هذه «البنى الاجتماعية الأولية واللاشعورية» لكي يستطيع علم التاريخ دراسة ما طرأ عليها من تطور، ارتقاء، تحولٍ وتغير في مختلف الحضارات البشرية المقارنة حتى الآن.

أن تستمد الاتنولوجيا، أصالتها من الطبيعة اللاواعية للظاهرات الجماعية، فقد نتج ذلك، ولو بصورة يعتورها الإبهام والالتباس من إحدى صيغ تايلور. فبعد أن عرف الاتنولوجيا كدراسة تتناول الحضارة أو الثقافة، وصف هذه الأخيرة كمجموعة معقدة تنتظم فيها «المعارف، المعتقدات، الفن، علم الأخلاق، الحقوق، العادات، جميع الكفاءات الأخرى التي اكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع»[29].

لكن ما هي هذه «الطبيعة اللاواعية» للظاهرات الجماعية الثقافية وما هو المقصود بتشكل مضمونها من بنى اجتماعية أولية ولا شعورية؟! إنما يعود الفضل إلى العالم الاتنولوجي الاميركي بواز في تعريف هذه الأخيرة، وذلك من خلال مقارنتها مع اللغة، «فقد أثبت بقاء بنية اللغة مجهولة من المتكلم إلى حين وضع كتاب علمي في النحو والصرف، ومواصلتها، حتى في ذلك الحين، تشكيل الكلام خارج وعي فاعل الفعل، فارضة على فكره **بنى تصورية** اعتبرت كمقولات موضوعية»[30]؛ إذاً كما في اللغة، كذلك في المجتمع، واستعارة المنهج نفسه تهدف للوصول، إلى مبدأ تفسير علمي وصحيح في كل نظام وعلاقة أو عادة وتقليد أو معتقدٍ وطقس، بالمعنى «الاجتماعي» للكلمة؛ وهذا الأخير يتحدد من خلال **بنية لا شعورية كامنة** تعتبر بدورها كمقولة موضوعية تعطي الإمكانية لتصور النسق الاجتماعي السائد على المستوى الذهني والفكري.

ولكن كيف يتم التوصل إلى هذه البنية اللاشعورية؟ هنا بالذات يلتقي المنهجان الاتنولوجي والتاريخي. أن يختص الاتنولوجي بدراسة البنى الاجتماعية «التزامنية» أي القابلة للارتداد وإعادة إنتاجها لهيكل ومفاصل انتظامها العام، فإن هذا لا يعني على الاطلاق الاستغناء عن المعارف التاريخية المحيطة بسياق هذه العملية «ذلك أن تحليل البنيات المتزامنة ذاته ينطوي على الرجوع إلى التاريخ رجوعاً مستمراً؛ ذلك أن التاريخ عندما يُظهر بعض الأنظمة العامة التي تتحول يتيح دون غيره استخلاص البنية المستترة في صياغات متعددة والمستمرة وسط سلسلة من الأحداث»[31].

وبعد، إن ما تقدم ليس سوى عينات أولية تمتلك من صدق التعبير والدلالة عن طبيعة العلاقة «الإشكالية» بين علم التاريخ والانتروبولوجيا. لقد قررنا باستحالة تناول المجتمعات «البدائية» المعاصرة، دونما الاقرار المسبق بتاريخيتها، ولكن هل «تستطيع اللغة الرمزية الجمالية للذاكرة البدائية الراهنة التعبير عن هذا «القدر التاريخي» المحتوم؟! بمعنى آخر، كيف يمكن لنا من خلال المشاهدة والتصوير والمعايشة اليومية لدورة الاجتماع البدائي (ممارسة الطقوس، السحر، الأساطير الطوطم، القرابة بتعقدها، الرقص، التبرج بألوانه.. الخ) قراءة ماضي (أو حاضر!) هذا الاجتماع وكتابة تاريخيته»!![32].

إن الاتنولوجي يهتم اهتماماً خاصاً بما هو غير مكتوب، لأن ما يهتم به يختلف عن كل ما يفكر الناس عادة في تثبيته على الحجر أو الورق، أكثر مما يعود ذلك لأن الشعوب التي يدرسها عاجزة عن الكتابة[33].

هكذا، فالأتنولوجيا لا يمكن أن تتخذ موقفاً لا مبالياً حيال التطورات التاريخية وتعابير الظاهرات الاجتماعية الواعية على نحو رفيع. على أنها إذا كانت تعيرها اهتماماً يُضاهي اهتمام المؤرخ بها، فلكي تتوصل، بنوعٍ من السير التراجعي، إلى فصلها عن كل ما تدين به للحدث التاريخي وللتفكير. وهدفها هو الوصول، وراء الصورة الواعية والمختلفة دائماً، التي يكونها الناس عن صيرورتهم، إلى وضع إحصاءٍ بإمكانات غير واعية لا توجد بعدد غير محدود، ويقدم فهرسها وعلاقات التلاؤم أو التنافر التي يحافظ عليها كل إمكانٍ مع باقي الإمكانيات، بنية منطقية لتطورات تاريخية، يمكن أن تكون غير متوقعة، دون أن تكون كيفية أبداً[34].

والآن، بالاستناد إلى ما تقدم من معطيات نظرية ومنهجية في التعاطي الانتروبولوجي مع هذه الموضوعة، نستطيع القول، إن صفة التاريخية لا تستتبع بالضرورة وجود نص تاريخي مكتوب عنده الحضارة التي تحملها، وعدم وجود هذا النص عند البعض الآخر، لا يستدعي استطراداً نزع صفة التاريخية عنها؛ إن التوصل إلى قراءة المُعاش الحضاري الراهن من تاريخ الشعوب؛ تتوسطه بالضرورة، إمكانية التوصل لقراءة البنية التاريخية اللاشعورية للفكر البشري، وهذه الامكانية كما رأينا، تجد تحولها إلى فعلٍ حقيقي عبر قراءة الأشكال الرمزية المختلفة التي تعبر من خلالها الذاكرة الجماعية للشعوب عن جوهرها وكنهها الحضاريين بما هما إفرازٌ دائمٌ مستمر لحركة التاريخ البشري نفسه...

إن النص المكتوب كما رأينا هو أحد أشكال التعبير الرمزية دون أن يستتبع ذلك كونه الشكل التعبيري الرمزي الوحيد، طالما أن هناك نصاً آخر غير مكتوب، هو النص المُعاش والقراءة الأتنولوجية الراهنة للحضارات البشرية المختلفة هي في حقيقة الأمر منها، قراءة في الإمكانيات التاريخية المتنوعة التي عرفتها

المجتمعات الانسانية حتى الآن؛ إذاً هي قراءة تاريخية في التعبير المعاصر، الحاضر عن التاريخ نفسه، بهذا المعنى، لن تكون خصوصية المجتمعات اللاكتابية، طالما أن المجتمعات الكتابية تحتوي إلى جانب نصها التاريخي المكتوب على نصها التاريخي أيضاً ولكن غير المكتوب.

إن قراءة المجتمعات الإنسانية على منهج علم التاريخ، أي استقراء الواقعة الحضارية الاجتماعية من خلال الكتب والوثائق والأرشيف، لا تكتمل إلا باعتماد المنهج الأخر، أي القراءة الاتنولوجية الراهنة لمعاني ودلالات البنية الثقافية ودلالتها عبر تحليل وتفكيك رموز عناصرها المستترة. . هكذا إذن، يلتقي علم التاريخ والانتروبولوجيا.

الحواشي

(1) من المفيد العودة في إطار تاريخ هذا الميدان، موضوعاته واتجاهاته المختلفة إلى كتاب Histoire de L'anthropologie; Paul Mercier; P.U.F; Pais: 1971

(2) حول علاقة الانتروبولوجيا بالسياق التاريخي للتوسع الاستعماري الغربي، يراجع بهذا الصدد كتاب الانتروبولوجيا والاستعمار، جيرار لولكلرك؛ ترجمة د. جورج كتورة. معهد الإنماء العربي، بيروت 1982 أو كتاب «عالم المعرفة» بعنوان: قصة الانتروبولوجيا فصول في تاريخ علم الإنسان، تأليف د. حسين فهيم، عدد رقم 98، الكويت: 1986.

(3) الأنتروبولوجيا، الذاكرة والمُعاش، د. محمد حسين دكروب، معهد الإنماء العربي، بيروت: 1984؛ ص 5.

(٣) Method on Social anthropology; Radicliffe Brown; Chicago, 1958 P.133.

(5) الانتروبولوجيا، الذاكرة والمُعاش، سبق ذكره أعلاه، ص 6.

(6) الانتروبولوجيا الاجتماعية، إيفانز بريتشارد، ترجمة د. أحمد أبو زيد؛ هـ . م . ع . ك؛ الاسكندرية: 1980، ط 6؛ ص 26.

(7) الذاكرة والمُعاش، سبق ذكره أعلاه، ص 7.

(8) كتاب «عالم المعرفة»؛ البدائية، تحرير أشلي مونتاغيو، ترجمة د. محمد عصفور؛ عدد رقم 53؛ الكوتي: 1982؛ ص 54.

(9) المرجع السابق ذكره أعلاه ص 108-109.

(10) المرجع السابق ذكره أعلاه ص 112.

(11) Robert Redfield; The Folk Society; The American Journal of Sociology; 1947; ورد في كتاب الانتروبولوجيا الاجتماعية، السابق ذكره أعلاه ص 27.

(12) الانتروبولوجيا البنيوية، كلود ليفي ستراوس، ترجمة د. مصطفى صالح، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ص 16.

(13) المرجع السابق ذكره، ص 29.

(14) الذاكرة والمعاش، سبق ذكره، ص 22.

(15) ظهرت الأعمال الكبرى لهذا الاتجاه وتكرست كمدرسة في الفترة التاريخية ما بين (1860-1880) ويعتبر من أبرز مؤلفيه، لويس مورغان في كتابه عن «أنساق روابط الدم والمصاهرة في العائلة الإنسانية» (1871)؛ باخوفن في كتابه عن «حق الأم» (1861)؛ تايلور في كتابه عن «أبحاث في التاريخ القديم للجنس البشري» (1865)؛ حين في كتابه عن «القانون القديم» (1861)، ماكليلان في كتابه عن «الزواج البدائي» (1865) . . . الخ.

(16) الانتروبولوجيا والأنوية الحضارية للغرب؛ د. محمد حسين دكروب؛ مجلة «الفكر العربي»؛ معهد الإنماء العربي؛ بيروت عدد 19, 1981ص 60.

(17) الذاكرة والمعاش، ص 116.

(18) الانتروبولوجيا والأنوية الحضارية... ص 64.

(19) الذاكرة والمُعاش، ص 112.

(20) الذاكرة والمُعاش، ص 117.

(21) شكل الاتجاه الوظائفي في بدايات هذا القرن، المنحى الانتروبولوجي المسيطر، من ابرز مؤسسيه، برونيسلاي مالينوسكي، راديكليف براون وإيفانز بريتشارد.

(22) الانتروبولوجيا والأنوية... ص60.

(23) راديكليف براون، سبق ذكره أعلاه ص 133.

(24) راديكليف براون؛ سبق ذكره أعلاه ص 133.

(25) الانتروبولوجيا البنيوية، سبق ذكره أعلاه، ص 31.

(26) المرجع السابق ص 25.

(27) المرجع السابق ص 37.

(28) الانتروبولوجيا، الذاكرة والمُعاش، سبق ذكره **أعلاه، ص ص** (15-44). **فصل بعنوان**: السؤال الانتروبولوجي، في إمكانية طرحه في إمكانية الجواب عنه.

(29) الأنتروبولوجيا البنيوية، ص 37؛ عن كتاب تايلور «الثقافة البدائية».

(30) المرجع السابق، ص 38.

(31) المرجع السابق، ص 41.

(32) الذاكرة والمُعاش، سبق ذكره، ص 114-115.

(33) الانتروبولوجيا البنيوية، ص 45.

(34) الانتروبولوجيا البنيوية ص 43.